أعطيتُها حُريتها... فهجرتني

اسم الكتاب: أعطيتُها حُريتها... فهجرتني

تأليف عبد الله دعامسة

حقوق الطبع والنشر محفوظة

Instagram1: abdallah._daamsa

Instagram2: abdallah.daamsa

Facebook: Abdallah Daamsa

أعطيتُها حُريتها . . . فهجرتني

لا مُقدمة لحديثي هذا، لكنني حقاً تركتُ الكتابة لعلها تكون دائمة، لعل علاقتي بها وعشقي لها يكون أبدياً، لعلّي أُحبها دائماً ولا تهجرني كغيرها، غريبة حياتي، أسمع عن الآخرين أنهم هجروا من يُحبوا من جنس حواء، ولكن حظي أن أُهجر أنا.

عُدت لها وللأسف، قد يكون شيئاً مميزاً أن أعود للكتابة وأكتب ما أشعر به، أنا حقاً كاتب؟ هل حقاً كتاباتي تُعجب الجميع؟ هذا ليس سؤالي المهم؛ بل سؤالي هل حقاً أرتاحُ بالكتابة؟

دائماً ألجأ للكتابة حتى أُفرغ الطاقة التي بداخلي، حتى أبكي للقلم ليكتب عني ما أشعر، حتى أحادث ورقتي وأبكي عليها لتكون دموعي شاهدة على ما حدث، حتى أُخبرها كُل التفاصيل لتكون كلماتي هي الحديث الأساسي في القصة.

أصبح من العادي جداً هذا الشعور، فكم أحببتُ وكم جُرحتُ وكم هُجِرت، في كُل مرة أُحاول أن أكون حقيراً، كاذباً، مُحتالاً بالحُب، حتى تدوم علاقتي بها، ولكن في كُل مرة أخسر من أُحب خوفاً من عاداتهم وتقاليدهم الرجعية، أو خوفاً من شيء لم ولن يحدث، ولكن. . . لا أعلم، كُل ما أعلمه أني بحاجة لأن أحدثكم بها.

بدأ الحديث مع نفسي سابقاً:

لا أعلم هل قلبي صادق أو لا، ولكنه في كل محادثة جديدة يفتتِحُها معها يبدأ بالنبض سريعاً، يرتاحُ بالحديث كأنه يحادث نفسه، خائفٌ من قول الحقيقة بأنهُ يُحبها خوفاً ما أن ينكسر قلبه من جديد مرة أُخرى، شعرتُ أنها ستحادثني باقتراب قلبها من قلبي، لا أعلم لمَ ينتابني هذا الشعور ولكن ما تأكدتُ منه هو أنني بجانبها أشعر بالراحة التامة، سواءً بالحديث أو الضحك أو غيره.

لا أعلمُ مدى صدق قلبي تجاه من أحببت، لا أعلم هل هو حُب أو اهتمام، هل هو صداقة عابرة أو دائمة، لا أعلم فقلبي مشتت، لا أرغب بالاعتراف لها بتاتاً حتى لو كلّف الأمرُ بحياتي أكملها، سوف أخذ هذا السرّ معي إلى قبري، فقد يكون السر الوحيد الذي يجعلني أتمسك بالحياة رغم متاعبها وآلامها الكبيرة، قد تعترف الفتاة لوحدها، قد تقول الحقيقة لوحدها يوماً.

وما أصعبُ أن تكون الحقيقة عكس المشاعر، وما أسوء من أن يكون من طرف واحد فقط، فالحُب يحتاج لتناغم القلوب واختلاط الطرفين ببعضهما، دائماً ما أشعر أنها الأقرب إليَّ والأفضل عندي، كانت المساعدة

والصديقة والقريبة والداعمة والمستمعة والجميلة واللطيفة والقوية والناجحة والمحطمة للقيود، كانت كل شيءٍ جميل احتل قلبي وأطلق سراح حياتي براً.

لعلها تقول لي: أنا أُحبُك، لعلها تنطق الحروف السبعة التي تُخيفني من الحقائق والأسرار خلفها، لعلها تكون الرسالة الأجمل والمقلقة أكثر، فخيط الأمل رفيع جداً قد ينقطع بلحظة، لا أعلم قلبي وعقلي مشتت وكياني بأكمله متردد في قولها، رغم أنني أُحبها حُباً شديداً ولكن أخشى من تكرار الأحداث، أخشى من كسر قلبي مرةً ثانية.

فبعضُ المشاعر صعبةُ القول والذكر أمام الجميع، ولكنها جميلة الشعور فأنا أشعرُ بها وأتعذبُ بكلماتها فقط، لا أعلم ماذا أتصرّف وهل تصرّفي صحيح أم لا، اليوم أخبرتُك حقيقة جديدة رأيتها أمامي وعلى حاسوبي المفضل في الساعة التاسعة مساءً وعشر دقائق، لعلها تكون ساعة تغيّر لحياتي بأكملها.

لم أحزن حزناً شديداً لبكاء أحدٍ من معارفي إلا عليها، لم أتألم لمرض أحدٍ من قبل سوى لمرضها، لم أكن ضعيفاً أمام أحد وأنطق بماضيَّ إلا لها، يجذبني كيانها الإلكتروني فما بالك لو كان واقعياً لاحتل قلبي وسرقه من جسدي، لأصبحت الشرايين تنبض حُبّاً وتضخ مشاعر.

هل أُخبرها الحقائق؟ أو أنتظر الحقائق منها؟ شعرتُ أنَّ حاجتها للمحادثة هي هذا السبب ولكن لا أعلم ولستُ متأكداً، ولا أرغب بالإصرار عليها ولا الضغط عليها فهذه الخطوة صعبة جداً جداً، بحاجةٍ إلى تفكير.

بصراحة لم أرى فتاة تعترفُ بِحُبها لشاب يوماً إلا قِلّة، كبرياء الانثى وحُبها لشخصيتها يمنعها من قول الحقيقة والصمود أكثر، ولكن الشاب يتمكن من قول الحقيقة كونها بسيطة لديه، ولكنني أشعر أنها صعبة والله إنّه لَحِملٌ كبيرٌ يتمركزُ على قلبي بأكمله.

قمتُ بفتح حسابي على الانستقرام ثلاثين مرة لعلها أرسلت رغبتها بالمحادثات وحطمت حاجز الخوف بيننا وأخرجت الحقائق من القلوب وقرأتها علناً أمام عقولنا.

وكما يقولوا الفتاة الجميلة تُعجِب العين إنما الفتاة العفيفة تُعجب القلب، فماذا لو أخبرتُك يا دفتري أنها جميلة وعفيفة، أجل.

- **الجمعة، السادس والعشرين من نوفمبر**

الساعة الحادية عشر في آخر الليل، يوم الاعتراف لها، لا أعلم كيف أصبح قلبي قوياً بعد وقتٍ طويل، ولكنني لم أعد أستطيع الصبر والتحمل، كُنت خائفاً لأن تكون لأحداً غيري، كانت رسالتي طويلة لأعترفَ بِحُبي لها، وكانت الرسالة الأجمل من بينهم، هي " أُحبُكِ حُبين، حُباً لأن الله اختاركِ لي، وحباً لأنك خُلقتِ لقلبي ".

تسابقت الكلمات والحروف محاولةً سباق بعضها لقول الحقيقة، أطلقت كلماتها الأولى والجميلة وكانت "يا عُمري"، كلماتُها الأولى لي بعد إخبارها بمشاعري، كانت تبادلُني نفس الشعور، كانت تتصرفُ نفس التصرفات والأفعال، هل كان ذلك من اختيارنا أو من اختيار الله؟، حتماً من اختيار الله فلو كان من اختيارنا لما كان كما نريد، وما اتفقنا من اليوم الأول، ولكن شاءت الأقدار أن نكون معاً، وهذا ما أُحب، تبادل الشعور، وشكراً للحياة.

كانت ليلة باردة، مليئة بالمشاعر المخيفة والجميلة، لا نعلمُ ما تخبئُ لنا الأيام، ولكن نتمنى أن نكون لبعضنا البعض، أتمنى أن نعيش معاً دائماً وأن نكون بعضنا البعض، أُحبها كُحب الأُم لطفلها الجديد، وحب الأب لابنه، أُحبها لأنها هي وليست كغيرها.

بعد منتصف الليل . . . في كل يوم أُسيطرُ على قلبي حتى يبقى مُتحفظاً لمشاعري، لا أستطيع أن أُخفي اشتياقي إليكِ، حديثي معكِ يزيد ابتهاج ملامحي، وبُعدُكِ يخلق الشوق.

أشعرُ بكِ دائماً في قاع قلبي، حيث المكان الذي لم يصله أحداً بعد، حيث وجود كُل الحُب والعشق، دائماً ما يكون قلبي مستقيماً إلا معكِ يميل، حتى جمال عينيكِ يزيدُ الأمر تعقيداً.

هذه هي معشوقتي وحبيبتي، وصديقتي، وأميرتي، وصاحبتي، وشريكتي، وطفلتي، وكل شيء جميل رزقني الله بهِ، يكفي أنها من اختيار الله لي، يكفي أنها الأجمل والأنقى والأطهر، أُحبها مهما فعلت، أُحبها أجل.

يوماً ما ستنتهي كل المسافات، كل الطرق المغلقة والبعيدة ستنتهي!، سنكون معاً دائماً، نُكّون عائلة صغيرة جميلة، ما أجمل العيش معها، دائماً قلبي يحوي أملاً على أننا سنلتقي ونكون معاً، دائماً أتأمل بقربها من قلبي، أعشقها بقوة كبيرة، أُحب محادثتها ومغازلتها، أُحبها لأنها الأجمل.

في كُل مرة أعود فيها من جامعتي أتحدث معها، مع أجمل البنات، مع أروع وألطف وأحبُ النساء إلى قلبي، مع الأفضل والأقربُ إلى قلبي، حبيبتي، الفتاة الوحيدة التي تُخرجني من حالة الحُزن والكآبة، الفتاة الأجمل، أُحبها كثيراً وبشدة، أُحبها لأنها تجعلني أعيش فرحةُ الحُب لا حُزنه، أُحبها لأنها لا ترضى لي الحُزن والشر إنما الحُب والضحك والخير، أُحبها جداً وبقوة.

انتهى هذا اليوم بالأحزان الكثيرة والآلام والفقدان، لنبدأ يوماً جديداً لعلّهُ يكون مُضحكاً جميلاً، ليس كئيباً حزيناً كهذا اليوم، لعل هذا اليوم كان اختباراً من الله عز–وجل، نشكرُ الله على ما حدث ونغلق صفحة جديدة من صفحات أيام حياتنا ونفتح صفحة بيضاء جديدة، ولكن في كل صفحة جديدة يوجد نقط سوداء، هذه أحزاننا في الماضي التي لا يمكننا نسيانها.

في بداية اليوم التالي، كانت أول رسالة منها، أدخلت الفرع والسعادة إلى قلبي، وكأنني أنتظر منها رسالة لتُدخل الفرحة إلى قلبي، بُسطاء في عِشقنا وأبسط الرسائل تُسعِدُنا، هكذا نُحب أن نعيش.

لأُخبركم شيئاً:

في قديم الزمان خلال مجالستي لكبار السن فبحديثهم المثير، وأصواتهم المحبطة، وما قالوه عن العشق بأنه العذاب، الألم، الاحتراق، الصراخ، البكاء ضحكاً، تخيلت نفسي في هذه الحالة ولكن ضحكت على نفسي وقلت: أنا لن أكون مثلكم ولن أتعذب بل سأعيش وأضحك وأقول للعالم بأنها معشوقتي بكُل فخر وحُب، هذا ما كُنتُ أتخيله. . !

لم أستمع للنصيحة يوماً، ولم أستمع لأحد قال لي أي كلام بخصوص هذا، بل استمريتُ في عشقي لها رغم الحُزن الذي مررنا به، رغم الألم الذي تخلصنا منه، رغم القهر الذي شاهدناه، حتى ولو وقف الكُل ضدنا، رغم كل شيء، سنستمر.

اقتنعت عند رؤيتي لها أنَّ الحُب ليس للحبيبِ الأولي، الحُب لمن وقفَ بجانبك في الصعاب، الحُب لمن تركَ كُل المغريات لأجلك، الحُب لمن كان سنداً لك عند سُقوطِكَ، الحُب لمن كان قوّتك عن ضعفِك، الحُب لمن كان معك دائماً.

فنحنُ من جماعة:

أبسط الكلمات من أشخاصٍ نُحبهم تجعلُنا نَبتسم، أقصرُ العبارات تُدخل الفرح والسرور إلى قلوبنا، تُشعِرُنا باهتمامكم بِنا، تُقرّبكم من قلوبنا، كلماتكم الجميلة واللطيفة قد تُغيّر مزاجي، يتعافى المرءُ بفتاةٍ مثلها تُقدم لي الاهتمام، الصداقة الحقيقية، لا تُشعِرُني بوجود فارقٍ بيننا، تُعوضُني عن كُل ما مررت به من مأساةٍ حقيقية، مَن يُحبُ قُربك فعلاً يكونُ انتصارك في هذا العالم المُظلم.

وبالفعل وجود حبيبتي في حياتي هو حياة، وجود الانثى بالحياة يُعطي للحياة حلاوة وجمال، صاحبة القلب الطيب، وجودها بين العائلة يُحنّن القلوب بين الأخوة، وجودها في أي مكان يُضيف أناقةً للمكان، تُحب الاهتمام وتهتم بمن يهتمُ بها، ولا تُكسرُ الانثى إلا مرتين، مرةً بموتِ أبيها أطال الله في عُمره، ومرة بخيانة من عَشِقَت.

كانت أجمل اللحظات معها وما زالت في حفظي وذاكرتي، ما زلت أقوم بالتفكير فيها كُل ليلة، لعلها تعود ذكراها وأيامها الجميلة.

أنا لستُ من النوع المُتحكم في خروجها ودخولها فهي ليست ملكاً لي، ولن أحاول امتلاكها ولن أفرض عليها أمراً حتى والدها لم يفرضه عليها، أنا أحببتها بصدق وقبلتها كما هي من البداية، مهما كانت تصرفها سيئة قد نغيرها للأفضل، ولكنها كانت أفضل حتى منّي، أوهمتُها بِحُبي لها ولم أهجرها بل بقيتُ معها دائماً.

كانت دائماً تُخبرني لوحدها عند خروجها وعند عودتها، كم أشتاق لتلك الأيام، كانت الأجمل؛ بل الأبسط والأقرب لقلبي، أقضي أغلب وقتي في محادثتها ومناقشتها.

كُنتُ أعود من جامعتي أجلس وحدي بلا أحد، لا أحادث أحد ولا أُحب التجمعات الكبيرة، ولكنها جاءت لتضيف نكهة الحُب إلى حياتي، جاءت لتقلب موازين قلبي ومخططاته، جاءت لتقول لي " أنا أُحبك "، يا ليتها ظلّت كما جاءت.

كانت لا تنام يوماً وأنا منزعج أو حزين لسبب ما إلا وأدخلت الفرحة إلى قلبي، تستمر بالضغط عليَّ حتى أخرج من هذه الحالة " الحالة الكئيبة والحزينة ".

أعطيتُها حُريتها... فهجرتني

كتبتُ لها:

وتساءلت بقوةٍ أحقاً تعشقُني؟

أجبتُها متسائلاً أحقاً تسألينني؟

أحقاً لديكِ شكوكٌ بمشاعري؟

ألا تخجلي من هذا السؤال وكُلُ العِشق صُنِعَ لأجلُكِ؟

وهل لي بألا أعشَقُكِ وأنتِ أجمل النساء؟

وكيف لي أن أعيشُ بعيداً عنكِ؟

فقلبي مُغرمٌ بكِ ومفتوناً بعينيكِ

* * *

في إحدى الأيام حدث بيننا حوار:

- كيف أصبحت؟
- الحمد لله بخير.
- هل أُترك قلبي يحدثك قليلاً وأسكت أنا؟
- هههه أجل يمكنك يا حبيبتي.

ثم قالت: " أنا حقاً أغارُ عليكَ، أغار ممكن يحاول الاقتراب منك، ممكن يحادثك ويتواصل معك، حتى من أصدقائك أغار عليك، أنت مأمني ومسكني وحبيبي وشريكي وصديقي وأماني ومنزلي وحلاوة أيامي ومُحتل قلبي وسارق عقلي، أنت لي وحدي فقط".

وكأنها قرأت كتابي "لم يُخلق الحُب لأجلي" وأخذت بعضاً من كلماتي، أثلجت قلبي وكأنها تُحارب الكون أجمع من أجلي، كم يزداد حُبي لها يوماً عن يوم، وكم أتمنى أن يدون العُمر عُمرين لأحُبها حُبين في كُل حياة.

- **الرابع من كانون الثاني من عام 2022**

الامر غريباً وبشكل فُجائي وغير مخطط له مُسبقاً:

لم تكُن الحياة لترغب أن نكون معاً؛ بل هي لم ترغب أن نكون معاً، فلا علاقة بالحياة، كان يوماً مزعجاً، كئيباً، حزيناً، مؤلماً، وماذا أحدثكم عن يوم الفراق حتى تعرفونه؟

بصدق اشتد حزني عليها، فمن شدة الحزن والكآبة على رحيل من أحتل قلبي بجماله وبرقة قلبه، فأنا أعبر عنها بقصة جديدة كتبتها بحرقة قلبٍ.

لم أعلم أنَّ هذا العام سيحل علينا الحُزن والقلق من بدايته، لم أكن أعلمُ أن الفُراق سيكون نصيبي ومصيري من بداية العام، أحببتُ فتاة ومدحتُها كثيراً، كانت وما زالت وستبقى داعمة لي، دائماً معي وبجانبي، و" كانت حبيبتي"، لا أعلم هل هو حقاً حُب أو مجرد إعجاب.

في هذا اليوم لم نتواصل أبداً سوى أننا قُلنا لأنفسها "صباح الخير" وتبادلنا الحوار، ثم رحلت، لم تعد تُرسل حتى رسالة وحدة منذ ذلك الوقت، لم تُخبرني عن تفاصيل يومها كما كانت تفعل، لم تقل شيئاً حتى الآن، وما زالت بعيدة عنّي.

الغريب والعجيب ليس هذا، بل أنها عادت ولكن ليست حبيبتي التي أخبرتكم عنها، والتي كانت الفتاة التي دخلت حياتي كأول مرة، لم أعتبر الحُب يوماً مُجرد رحلة وستنتهي، رغم أني لم أرتكب معها الخطأ يوماً ولكن شدة خوفها ورقة قلبها جعلتها ترحل بهدوء، أخبرتُها إن كان لديها رغبة بالرحيل فلتفعل ذلك ولا تقلق على قلبي، فاعتاد قلبي على الخذلان والانكسار.

وها هي تُرسل لي رسالة طويلة، كان مضمونها اعتذاراً كبيراً لأجل لا شيء، اعتذاراً وكأنه طريقاً للعودة، لا أعلم فلا أرغب بالحُكم عليها دون معرفة السبب، ولكن هي الانسانة الوحيدة التي استطاعت دعمي، كُل الناس التي أعرفها لم يدعمني أحدٌ مثلها، ولكن لا أعلم لماذا.

صدقاً أحببتُها بشدة وأتمنى عودتها، ولكن الأيام لا تُعيد قلبك كما كان، لا تُعيد الحُب كما كان أول مرة في أول لقاء، عندما هجرتي ولم تعُد تُحادثني كالسابق، شعرتُ أنها لن ترغب بالاستمرار معي، فسألتها عن رغبتها وكانت " الرحيل ".

هل مكتوب على قلبي أن يذوق العذاب دائماً؟ أو أنها تجارب لأنال فتاةٌ تُحبني بقوة وتقدم لي كُل الحُب الذي أستحقه؟ أو أنني لا أستحق شيئاً؟ لم يعد عقلي يعمل كما أرغب، لم تعد حساباتي كالسابق، تبعثر كُل شيء، حتى مشاعري تبعثرت.

لا أدري لما فعلت هذا الشيء بصدق، فقد تكون في مصيبةٍ ما ولم تستطع القول لي، وما جعلني أتعجب أكثر أنها لم تعد تسأل لأمري أبداً، وهي لم تفعلها طيلة حياتها ولكن فعلتها الأن

وقد تجبرنا الحياة أحياناً على خوض تجارب لا نرغب بها، تجبرنا على أفعال ليست لنا وتصل بنا لحالة الندم، هي نفس الحالة والمرحلة التي وصلتُ إليها، مُعتقداً في بداية الأمر أنها بسيطة وستمضي، ولكنها حفرت واستقرت في قلبي، ولم أستطيع أن أمحي الأثر أبداً، والمشكلة أنني لن أستطيع فِعلها كذلك.

حين أخبرتني الحقيقة، لم أتفاجئ فأنا كُنتُ على علم بما يحدُث حولي، أعلم بأنها ترغب بالرحيل ولكنها خائفة على قلبي، كُنتُ على يقين تام بأنها يوماً ما سوف تخبرني بأنها ليست لي، لم أكترث لذلك ولم أغضب، بل رددتُ ببرودٍ تام وقلت: هذا يعودُ لكِ، ولكن قلبي من الداخل يحترق.

عندما أحببتُها أول مرة لم تُخبرني بأنها سترحل، بل أخبرتني عكس الحقيقة وقالت: أنا معك دائماً مهما كلّف الأمر ومهما كانت الظروف، الجميلُ في الأمر أن الظروف لم تكن يوماً عائقاً على أي علاقةٍ كهذه، بل نحنُ من نصنع هذه الظروف ونعضها عائقاً أمامنا، فلا ذنب للظروف ولا لصانعها بل الخطأ هو وضع أنفسها في هذه الظروف، من يُحبك فعلاً مهما كانت ظروفه لن يتركك أبداً حتى ولو كلّف الأمر كثيراً، لا يكون الحُب في يوم، أو سنة، أو حتى سنين طويلة، بل بالمواقف.

صار كل واحد منّا في طريقه، قد نعتقد أننا أصدقاء، ولكن لا يُمكن أن يُصبح الحُب صداقةً، قد يجوز العكس، أما هكذا فلا نستطيع تقبل ذلك، الحقائق معروفة، كيف لك أن تقول بدلا من (يا حبيبتي) إلى (يا صديقتي).

أسأل نفسي من هي هذه الفتاة؟ لماذا أكتب عنها؟ هي مجرد صديقة، أجل هي صديقة ولكن ليست كأي صديقة وليست كأي فتاة عرفتها من قبل، هي "كانت" حبيبتي، معشوقتي، أميرتي، أجمل أيامي، صغيرتي، طبيبتي عندما أمرض، ومساعدتي عندما أحتاج، وابنة قلبي عندما أنزعج، هي كُل شيء ولا ننسى أنها

"كانت"، ولكن رغم ذهاب تلك الفتاة المجهولة وأنا مكسور الخاطر إلا أنني أشعر بوجودها وبطيبة قلبها الرقيق، ولكن شاءت الأقدار غير ذلك.

قد تكون أول مرة أقولها، لقد تعبت، اقسم أنني تعبت، مللتُ من كآبة الحياة ومن مُرّها، مللتُ من تكرار الشيء ومكر البشر وكسر الخواطر والقلوب، مللتُ منها، تعبتُ من حمل الهموم والذكريات المؤلمة كهذه الذكرى، قُطع خَيطُ الأمل، رحلت وتركت كُل آلامي وآلامها في قلبي، ظلت الآلام فقط، وظل تأثيرها في قلبي لا يزول.

ثم كتبت:

أما زلتِ تُحبينني؟

أما زال قلبُكِ يدقُ باسمي؟

أما عن نفسي. . .

ما زِلتِ سراً بين الورق وقَلبي

يقرئونكِ سطراً في كُتبي وأنت في قلبي رواية

وما زِلتُ أكتبُ عنكِ حتى في ثنايا قلبي

أكتُب عن الاشتياق والحُب

وعن الخذلان والفراق

وعن الإعجاب والحُب

فالإعجابُ هو قطفاً للورد

أما عن الحُب فهو سُقيا لها

وسأظلُّ أكتُبُ عنكِ ولكنني لا أرغب بأن تعودي

هذا كُل ما أرغب قوله في اثني عشر صفحة فقط، مهما أطلتُ الحديث وتحدثتُ كثيراً فهي لن تعود، يكفي أنني رميتُ كُل هذا الكتمان على أوراقي لتحتفظ بها.

وداعاً لكم في قصةٍ أُخرى، وقد لا أعود للكتابة!

تأليف: عبد الله دعامسة

Instagram1: abdallah._daamsa

Instagram2: abdallah.daamsa

Facebook: Abdallah Daamsa